

إهداء....

إلى

التاريخ.... عَسَانِي أَنْ أَكُونَ قَلَمَ صِدْقٍ فِيهِ..

إلى

من لها رُوحِي بعد رَبِّي ورسولي.. (أمي) الغالية الحنون.

إلى

أخي الغالي (محمد).... الأخ والأب والصديق الحق.

إلى

الزهرة الصغيرة... الجميلة (ملك).. روح قلبي ونور عيني.

obeyikan.com

مقدمة

بطرس غالي.. لا أظن أن أحدًا لا يعرف هذا الاسم، أو على الأقل لا يعرف عائلة غالي؛ تلك العائلة التي تؤرخ لـ ١٥٠ عامًا من عمر مصر، وتركت بصمات لا تُنسى في ذاكرة التاريخ المصري.

عائلة لها تاريخ طويل يشهد لها بما قدمته لتلك البلاد من أعمال وإنجازات لا تنسى، يعرف هذا من قرأ التاريخ الحق الصادق البعيد عن كتابات البعض التي تصدر عن أهواء ودون حيادية، فكلنا يعلم الداء العضال الذي دائمًا ما يصيب التاريخ، فتعتل كتابة التاريخ به إلى أن يشفى على أيدي الذين أطلق عليهم - إن صح التعبير - المنصفين.

لقد أصبحت قراءة التاريخ حاليًا من الأمور المحفوفة بالمخاطر والمخاوف من مصداقية المادة المؤرخة؛ لأن كاتب التاريخ من البشر، يُصيب ويُخطئ، ربما يكون من المنصفين وربما يكون من المتحيزين، ينتقي مادته من مصادر قد تكون صحيحة وقد تكون غير ذلك. المهم أن النتاج الأخير لمادته لا بد وألا يؤخذ كمسلمات يُبنى عليها وتصدُر الأحكام بناء على ذلك إلا بعد التقصي عن بقية المصادر والمراجع والثقات من الرجال ويتضح الصدق فيها جليًا.

لمثل هذا تعرض كثيرٌ من الشرفاء لتشويه صورتهم بكتابات غيرهم من غير المنصفين، وعلى الجانب الآخر نال كثيرٌ وسام الرِّفعة في التأريخ وما هم بأهله، وقد لا يُوفّ البعض حقهم أو حتى جانبًا يُبدل له الرضا.

لهذا فلا بد للكتابة التاريخية أن تكون لها معايير وضوابط. ولكن السؤال من يضع

هذه المعايير والضوابط؟ وإذا وجدت فمن يلتزم بها؟!

هذا بالضبط ما ينطبق على تاريخ بطرس باشا غالي؛ هذا الرجل الذي حمل على عاتقه فترةً من أصعب فترات التاريخ المصري في ظل غطرسة الاحتلال البريطاني، ولكنه ما نال حقه في التاريخ على الرغم مما قدمه لبلاده، أردت فقط أن أوضح في هذا الكتاب خفايا الأمور التي يغفل عنها كثير من الذين يطلعون على سيرته.

فإن كثيرًا من التاريخ يحتاج لأن يُعاد كتابته، وعلى هذا تخط د. نعمات أحمد فؤاد كتابها «أعيدوا كتابة التاريخ» لافتة الأنظار إلى تلك الضرورة، وغيرها الكثير والكثير ممن حاولوا إيضاح حقيقة الأمر ودحض الزيف، فعلى سبيل المثال يدافع د. محمد حسين هيكل عن بطرس باشا غالي في كتابه «تراجم مصرية وغربية» دفاعًا جاوز حد الإنصاف إلي التعاطف.

فهل ينسى حسن صنيع القوم إلا جاحد؟!.. أليس بطرس غالي هذا هو الذي كانت باكورة أعماله في الوزارة في حل مشكلة الأزهريين وإراحتهم من المتاعب، حتى إن الحكومة لما صممت على إغلاق الجامع الأزهر قال: لا يمكن أبدًا في عهدي أن يُمس الأزهريون بسوء.

■ وهو أول من جعل عيد الهجرة عطلة رسمية:

ففي عشرين يناير صدر مُلحق للوقائع المصرية يتضمن القرار التالي: "بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقفل نظارات الحكومة ومصالحها يوم السبت أول محرم سنة ١٣٢٧-٢٣ يناير سنة ١٩٠٩". وهكذا تقرر العطلة الرسمية في أعظم مناسبة إسلامية في عهد رئيس وزراء قبضي.

وهو الذي أنشأ الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١م، فخطب في حفل الافتتاح
الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار والشيخ عبدالله النديم.
وإلي غير ذلك من الأعمال التي لا حصر لها تشهد له بنزاهته.. فحريُّ بنا أن نبقي
ذكره خالدة نقيه، فهو المصري الوفي الأصيل، وصدقت أعماله آخر كلماته عند موته: يعلم الله
أني ما أتيت أمراً يضرب بلادتي، وشهد له بذلك كثير ممن عاصروه..

أبو آدم (سعد عبدالرازق)

المعادي / القاهرة

الخميس ٦ / ٥ / ٢٠١٠م